

تمثيلات الهوية الثقافية الأمازيغية في الأفلام الوثائقية التلفزيونية
دراسة تحليلية ألسنية للفيلم الوثائقي التلفزيوني (الأمازيغ حكاية تعايش).

Representations of Amazigh cultural identity in television documentaries

Analytical linguistic study of the television documentary film
(Amazigh, a story of coexistence).

ط.د/ كمال بزاحي¹، أ.د/ كريم بلقاسي²

¹ جامعة الجزائر3 (الجزائر)، bezzahi.kamel@univ-alger3.dz

² جامعة الجزائر3 (الجزائر)، belkaci.karim@univ-alger3.dz

تاريخ الاستلام: 2022/12/25 تاريخ القبول: 2023/02/08 تاريخ النشر: 2023/03/05

ملخص:

تبحث هذه الدراسة إشكالية دلالات تمثيلات الهوية الثقافية الأمازيغية في الأفلام الوثائقية التلفزيونية في الفترة الحالية تزامنا مع بروز نزعة قومية جديدة تحاول التعريف بالقضية الأمازيغية على أنها قضية قومية تتجاوز حدودها الوطنية إلى حدود إقليمية لتصير تعبيرا عن صراع مفترض في دول شمال إفريقيا بين هوية أمازيغية أصلية، وهوية عربية دخيلة وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها تعرض الهوية الثقافية الأمازيغية إلى التهميش والإقصاء والتعتيم الإعلامي في جميع دول شمال إفريقيا وكذا استفادة المغرب من التجربة الجزائرية بإنشاء حلول مسبقة لاحتواء الأزمة الأمازيغية، إن تهميش الهوية الثقافية الأمازيغية وكذا سياسة التعريب القوية والكثيفة في الجزائر منحت للحركة الأمازيغية شعورا بعدم الرضا على ما يسمونه محاولات تهديد هويتهم وإقصائها وتعرضها للزوال والاندثار. لقد أصبح من الضروري الاهتمام بالهوية الثقافية الأمازيغية وهذا

لتلافي الاستخدام الخارجي لها لضرب وزعزعة الأمن الداخلي لدول شمال أفريقيا تحت مسميات عدة مثل حماية حقوق الأقليات وحقوق الإنسان والحريات. كلمات مفتاحية: الهوية الثقافية ، الأمازيغ ، الفيلم الوثائقي التلفزيوني .

Abstract:

This study examines the problematic implications of the representations of Amazigh cultural identity in television documentaries in the current period, coinciding with the emergence of a new nationalism that attempts to define the Amazigh issue as a national issue that transcends its national borders to regional borders to become an expression of a supposed conflict in North African countries between an original Amazigh identity, And an alien Arab identity. The study reached several results, most notably the exposure of the Amazigh cultural identity to marginalization, exclusion and media blackout in all North African countries, as well as Morocco benefiting from the Algerian experience by creating prior solutions to contain the Amazigh crisis, The marginalization of the Amazigh cultural identity, as well as the strong and intensive policy of Arabization in Algeria, gave the Amazigh movement a sense of dissatisfaction with what they call attempts to threaten their identity, exclude it, and expose it to disappearance and extinction. It has become necessary to pay attention to the Amazigh cultural identity, and this is to avoid external use of it to strike and destabilize the internal security of North African countries under several names such as protecting the rights of minorities, human rights and freedoms.

Keywords: Representations, Cultural identity, Amazigh, Television documentary film.

1. مقدمة

اختلفت مفاهيم التمثيلات بارتباطها بمجالات العلوم الإنسانية فبرزت مفاهيم جديدة مثل التمثيلات السياسية، والتمثيلات النفسية والتمثيلات الثقافية، إن هذه الأخيرة أي التمثيلات الثقافية تشير إلى نظام المعرفة والنشاط النفسي الذي يعكس التجربة الفردية والجماعية للإنسان والتي تناقلتها الأجيال عن طريق وسائل الاتصال كالكتب والتلفزيون والسينما أو شفاهيا عن طريق الشعر والغناء والحكايات الشعبية. (Kaes, 1968, p 36).

ومن هنا برزت مقارنة علمية في علم النفس الاجتماعي تدرس تأثير الثقافة على تكوين شخصية الفرد وطبعها بخصائص معينة فهي لا تكتفي بدراسة علاقة الفرد بالمجتمع، إنما تتعمق في تفاصيل هذه العلاقة فتسعى لرصد علاقة الثقافة بالشخصية وكيفية تأثير النمط الثقافي على سلوك الفرد.

ما لبثت هذه المقاربة أن تحولت في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين إلى تخصص علمي قائم بحد ذاته يدرس سلوك الفرد عندما يكون في مجال نفس اجتماعي جديد مغاير للمجال الذي نشأ فيه والآليات الدفاعية التي يقوم بها حفاظا على هويته الثقافية حيث اختلاف الحيز المعنوي، فلا يشارك أفراد هذا المجال نفس الرؤية الثقافية والدلالات الرمزية للمواقف والأحداث. وتبعاً لما جاء في تعريف اليونسكو للبنية الثقافية نجد هناك ثلاث مجالات متنوعة لكنها متكاملة.

الأبحاث التي تدرس التنوع الثقافي بهدف فهم المجتمعات والأفراد الذين ترجع جذورهم إلى مجموعات اجتماعية وإثنية مختلفة. (حجازي، 2016، ص 94-95).

وتعتبر منطقة شمال إفريقيا وخصوصاً الجزائر من أكثر الدول تنوعاً إثنياً ولغوياً إلا أن الاهتمام بهذا التنوع الثقافي الشعبي ظل محتشماً فرغم تأسيس معهد الثقافة الشعبية في منتصف ثمانينات القرن الماضي بتلمسان إلا أنه بقي بلا

فاعلية نظرا للسياسة التي انتهجتها السلطة في الجزائر بعد الاستقلال والتي تثبت البعد القومي الإسلامي باعتباره المكون الهوياتي الوحيد للجزائر متجاهلة بذلك البعد الأمازيغي للجزائر مما دفع الحركات الأمازيغية إلى الرفع من وتيرة مطالبها وهو ما نتج عنه صدام مع السلطة في أحداث ما يسمى الربيع الأمازيغي وقد انتقلت موجة هذه المطالب بسرعة إلى المغرب الأقصى ثم لاحقا إلى تونس وليبيا ومصر بدرجة أقل. (جاي، 2018، ص 26).

2. إشكالية الدراسة:

تزايد حدة النقاش حول مسألة الهوية في شمال إفريقيا عند كل مناسبة اجتماعية أو ثقافية أو استحقاق دستوري حتى أن الأمر يوجي بأنه صراع حول الهوية، فعلى الرغم الاعتراف الدستوري باللغة الأمازيغية في كل من الجزائر والمغرب إلا أن مطالب الحركات الأمازيغية لا تزال مستمرة ولعل أبرزها إنشاء أكاديميات خاصة باللغة الأمازيغية وتوسيع استعمالها إلى الوثائق الرسمية وفرض تدريسها مثلها مثل العربية وباقي اللغات الأجنبية.

لاشك أن هذه الخطوات التي اتخذتها كل من الجزائر والمغرب من خلال الاعتراف الدستوري بالتنوع الثقافي واعتبار الأمازيغية من الثوابت الوطنية إلى جانب العربية والإسلام في دستور الجزائر 2020 قد قلل من حدة هذا النقاش إلا أن التوظيف الأيديولوجي لهذه المسألة يشكل تهديدا للأمن الهوياتي في بلدان شمال إفريقيا. (بولعوالي، 2014، ص 07).

تحاول هذه الدراسة معرفة مظهرات العناصر الرئيسية المتمثلة للهوية الثقافية الأمازيغية من خلال دراسة لغة الخطاب في التعليق أو الحوارات والمقابلات وهذا من خلال الإجابة على السؤال المحوري التالي:

ما هي دلالات تمثيلات الهوية الثقافية الأمازيغية من خلال الفيلم الوثائقي الأمازيغ حكاية تعايش الذي بثته قناة سكاى نيوز عربية سنة 2015 ؟

ولتوضيح هذه الإشكالية يطرح الباحث التساؤلات الفرعية التالية :

1- ما هي دلالات الإعراف التدريجي بمقومات الهوية الثقافية الأمازيغية في كل من الجزائر والمغرب؟

2- كيف وظفت العلامات الألسنية لإبراز عدم الاعتراف بالمكون الأمازيغي في كل من ليبيا وتونس ومصر؟

3- ما هي الأبعاد الدلالية لمفهوم التعايش الأمازيغي العربي الوارد في الجزء الأول من الفيلم الوثائقي محل الدراسة ومفهوم الصدام بينهما والوارد في الجزء الثاني منه؟

3. منهج البحث:

يعتبر اختيار المنهج ضرورة علمية فهو عبارة عن مجموعة العمليات والخطوات التي يتبعها الباحث والتي تنير طريقه وتساعد على ضبط أبعاد وأسئلة وفروض البحث ومساعيه. (زررواتي، 2007، ص 05).

منهج التحليل النقدي للخطاب الإعلامي: اعتبر أغلب الباحثين مقال هورك هايمر " النظرية التقليدية والنظرية النقدية" بمثابة الانطلاقة لإثبات هوية النظرية النقدية.

- مقارنة نورمان فيركلاف: عمل نورمان فيركلاف في إطار البحث الاجتماعي الثقافي في التحليل النقدي للخطاب واهتم بالخطاب من خلال دراسة انتاجه وتلقيه في إطار ممارسة اجتماعية ويرى أنه لا يمكن دراسة الخطاب بعيد عن سياقه الاجتماعي والثقافي وبمعزل عن نصوص أخرى ذات صلة.

يعتبر فيركلاف اللغة جزءا من الحياة الاجتماعية لا يمكن اختزاله وبينها وبين عناصر الحياة الاجتماعية الأخرى علاقة منطقية جدلية تجعل من الضروري أن يأخذ البحث والتحليل الاجتماعي اللغة بعين الاعتبار.

وتجدر الإشارة إلى أن فيركلاف يحول الخطاب المسموع إلى مكتوب لدراسته. (عبيدي، 2016، ص 139).

سيقوم الباحث بتحليل نقدي للغة الخطاب الإعلامي في الفيلم الوثائقي الأمازيغ حكاية تعايش الذي بثته قناة سكاى نيوز عربية مهتدين بما توصل إليه نورمان فيركلاف من خلال التحليل المعجمي فتحليل لغة الإعلام يعتبر عنصرا مهما في

تحليل التغيرات في صلب المجتمع ولغة الإعلام تأثير كبير في تغير القيم الثقافية في المجتمع وتأسيس هويات جديدة للشعوب مثل التحرر من الظلم والاستبداد السياسيين والتحرر من العادات والتقاليد وتبني عادات جديدة. (عبيدي، 2016، ص 185).

4. عينة الدراسة:

يعرف رشيد زرواتي العينة على أنها انتقاء جزء من المجتمع الأصلي ليتم تعميمه على بقية الوحدات والباحث يختار مجموعة من الوحدات التي تمثل جزءا من المجتمع العام ويقوم بدراستها والوصول إلى نتائج الدراسة. (زرواتي، 2009، ص 181).

وقد قدر الباحث ان اختيار مفردات مجتمع البحث يجب أن يكون قصديا، فالعينة القصدية أو الفرضية أو العمدية هي العينة التي يقوم فيها الباحث باختيار مفرداتها بطريقة تحكمية لا مجال للصدفة فيها، فهو يقوم شخصا باقتناء المفردات الممثلة أكثر من غيرها لما يبحث عنه من معلومات وبيانات وهذا لإدراكه المسبق ومعرفته الجيدة لمجتمع البحث ولعناصره الهامة. (بن مرسل، 2005، ص 197).

ومن خلال مشاهدة الباحث لما تسنى له من أفلام وثائقية تتناول موضوع الهوية الثقافية الأمازيغية في شمال إفريقيا والتي تمثل مجتمع بحثه اختار بطريقة تحكمية الفيلم الوثائقي "الأمازيغ حكاية تعايش".

5. تحديد المصطلحات:

لضبط الإشكالية المطروحة وجب على الباحث تحديد المعنى الاصطلاحي والإجرائي للمصطلحات والمفاهيم المرتبطة بها.

1.5. الأمازيغ:

- وتعني الرجل الحر النبيل، وهو اسم قديم جدا، وهو ما تؤكدُه العديد من المصادر اليونانية واللاتينية وقد ذكر الإدريسي وجود مرسى على المحيط

تمثيلات الهوية الثقافية الأمازيغية في الأفلام الوثائقية التلفزيونية

- الأطلسي ترد عليه مراكب الأندلس يسمى مرسى مازيغن - مازاغان.
- إمازيغن أو أمازيغ هما الإسمان اللذان يسمى به "البربر" أنفسهم، مؤنث أمازيغ هو تامازيغت ويطلق أيضا على المرأة و على اللغة. (هسوف، 2016، ص 26).
- عند قبائل الطوارق يسكن حرف الزاي ويقلب إما هاءًا أو شينا حيث تنطق الكلمة أماهغ عند طوارق الجزائر، وأماشغ عند طوارق مالي وأماجغ عند طوارق النيجر.
- لغة: مازيغ إسم فاعل من الفعل يوزغ المنطوق يوهغ الذي يعني غزا.
- وأمازيغ اسم مشرب يعني النبل والشهامة والإباء.
- ويرى غابرييل كامبس أنه يوجد اسم عرفي أوسع انتشارا في البلاد البربرية بل إن إقترانه بأسماء الكثير من المواقع يجيز لنا أن نعتبره الاسم الحقيقي للبربر.
- يرد الجذر م.ز.ك M.Z.K الذي نجده في إسم المازيس في العصر الرووماني، المكسيس الوارد عند هيرودوت، والمازيس الوارد عند هيكاتي. والمشوش الذي ورد في الكتابات النقوشية المصرية، ولايزال الإموهاق في غرب فزان، وأماجيكن في جبل أيير، والأمازيغ في الأوراس والريف يحافظون هذا الاسم، والتماشق هي لغة الطوارق وهم الذين يسمون أنفسهم إموشار Imouchar ، غير أننا لانجد القبائليين أو الشاوية في الأوراس يعرفون بهذا الإسم. (كامب، 2014، ص 127).
- أما الأمازيغ من وجهة نظر الباحث فهم : السكان الأصليون في شمال إفريقيا، يشكلون جزءا من سكان كل من الجزائر والمغرب وتونس وليبيا وموريتانيا وشمال مالي وشمال النيجر، وتوجد مجموعات أصغر في بوركينا فاسو. وصحراء سيوة بمصر وجزر الغواش باسبانيا، كما توجد مجموعات كبيرة من المهاجرين الأمازيغ الذين يعيشون في فرنسا وبلجيكا واسبانيا وكندا وهولندا وألمانيا وإيطاليا ودول أخرى في أوروبا وهم مجموعة إثنولغوية تشمل الناطقين باللغة الأمازيغية

بمختلف لهجاتها. وكذا الناطقين باللغة العربية أو إحدى لغات البلدان التي هاجرو إليها إلا أنهم يعرفون أنفسهم كأمازيغ يحملون خصوصيات الثقافة الأمازيغية وأغلبهم مسلمين على المذهب السني مع أقلية إباضية.

2.5. التمثلات الاجتماعية:

يعتبر اميل دورركايم أول من استخدم مفهوم التمثل الجماعي سنة 1898 في كتابه "التمثلات الفردية والتمثلات الجماعية" محدد خصائص التمثلات الفردية والتمثلات الجماعية . (Durkeim, 1967, pp 50-60)

لكنه اصبح مفهوما رئيسيا في علم النفس الاجتماعي بفضل أعمال سرج موسكوفيتشي serge moscovici الذي عرفها " مجموعة المفاهيم والمقولات والشروحات النابعة من الحياة اليومية، إنها كما الأسطورة ونظام المعتقدات الاجتماعية التقليدية في مجتمعاتنا المعاصرة، ويمكننا اعتبارها بمثابة صور ذهنية نكونها عن الآخرين تعكس حقيقة اتجاهاتنا ومواقفنا نحوهم والتي تترجم عبر سلوكنا وأسلوب تفاعلنا معهم. (Moscovici,1976, pp 46-56).

أما بالنسبة للباحث فإن التمثلات الاجتماعية هي مجموعة الصور الذهنية والمعتقدات والآراء والمفاهيم والمقولات العامة والشعبية يعسكها الفيلم الوثائقي محل الدراسة حول عناصر الهوية الثقافية الأمازيغية التي تكون بمجملها نظاما رمزيا يسمح للفرد بفعل عمليات عقلية معرفية معقدة أن يستحضر ذهنيا ويعيد رمزيا إنتاج سائر المواقف والمعطيات الاجتماعية التي تلقاها من خلال متابعته للفيلم الوثائقي الأمازيغ حكاية تعايش.

3.5. الثقافة:

- اكتسبت كلمة ثقافة "Culture" معناها الفكري في أوروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

- فالكلمة الفرنسية كانت تعني في القرون الوسطى الطقوس الدينية Cultes.

تمثيلات الهوية الثقافية الأمازيغية في الأفلام الوثائقية التلفزيونية

- لكنها في القرن السابع عشر كانت تعبر عن "فلاحة الأرض". (حجازي، 2016، ص 31).
 - أقدم التعريفات وأكثر شيوعاً هو التعريف الذي قدمه الأنثروبولوجي الإنجليزي إدوارد تايلور (1832-1917) الذي قدمه في كتابه الثقافة البدائية سنة 1871 "هي كل مركب يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابلية والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين.
- (باومن، 2018، ص 11-24).

ومنه فإن الثقافة في نظر الباحث هي:

- ذلك النسيج الكلي المتمثل في الأفكار والاتجاهات والعادات ومنظومة القيم والاتجاهات والعادات ومنظومة القيم وطريقة التفكير والعمل وأساليب الإدارة وآداب السلوك التي تحكم المجتمع الأمازيغي وكذلك اللغة الأمازيغية ونمط العيش وما يتضمنه من مسكن ومأكل ومشرب وعلاقات تؤسس التواصل بين الفرد والفرد وبين الفرد والجماعة الصغرى أو الكبرى وبين الفرد ومعبوده.

4.5. الفيلم الوثائقي :

- يعرفه الاتحاد الدولي للأفلام الوثائقية (1948): هو كافة أساليب التحليل لأي مظهر للحقيقة، يعرض بوسائل التسجيل المباشرة أو بإعادة بنائه بصدق وذلك لتحفيز المشاهد على فعل أي شيء أو لتوسيع مدارك المعرفة والفهم الانساني أو لوضع حلول واقعية لمختلف المشاكل في عالم الاقتصاد أو الثقافة أو العلاقات الانسانية. (نصار، 2007، ص 44).

- وهذا يعني أن الفيلم الوثائقي يصنف ضمن الأفلام الحقيقية Non fiction بخلاف الأفلام الدرامية الروائية Narrative التي تصنف على أنها Fiction أي أنه مبنية على الخيال أساساً أو على قصص واقعية لكن بمعالجة وسياقات مصطنعة.

- وهذا ما جاء في تعريف الموسوعة البريطانية الجديدة الفيلم الوثائقي بأنه: نوع من الأفلام السينمائية غير الروائية بمعنى أنه لا يتضمن قصة أو خيالاً وإنما يتخذ مادته السينمائية من واقع الحياة فيصور هذا الواقع ويفسر حقائقه المادية أو يعيد تكوين هذا الواقع وتعديله بشكل يعبر عن الحقيقة الواقعة هادفاً لتحقيق غرض تعليمي أو ترفيهي. (عيسى، 2020، ص 24).

أما الباحث فيتبنى التعريف الآتي: هو نوع من الأفلام غير الروائية التي لا تعتمد القصة والخيال بل تتخذ مادتها من واقع المجتمع الأمازيغي بغية تفسير حقائقه وتوسيع مدارك المعرفة لوضع حلول واقعية لمختلف المشاكل التي تواجه الهوية الثقافية الأمازيغية.

6. الجانب التطبيقي للدراسة (إستراتيجية الحجاج) :

يعد مبحث الحجاج من المباحث التي لقيت اهتماماً كبيراً من الدارسين في العالم الغربي ولم يبدأ الاهتمام به في العالم العربي إلا في العقود الأخيرة لما له من أهمية في توجيه الرأي العام وفي صنع الحدث.

يحدد بروتون أربعة أصناف كبرى للحجاج وهي:

- حجاج السلطة : وفيه يقع اعتبار آراء من لهم السلطة الوظيفية او العلمية أو أي نوع آخر من أنواع السلطة.

- حجاج المجموعة: وفيه يقتنع السامع بأن ما يقوله المتكلم هو في حد ذاته برهان لا يمكن مناقشته وإلا فهو مجبر على إتيان ما هو أحسن منه.

- حجاج التأطير: يستعمل للتحقق من أن المتكلم متناسق التفكير وهي طريقة لدحض الرأي الآخر دون الاعتماد على المقول وإنما على التشكيك في سلوك القائل.

- حجاج القانون (القياس): يعتبره جون لوك من أفضل أنواع الحجج المذكورة لأنه يركز على الحجج النابعة من استعمال العقل أو تقصي الاحتمالات الممكنة. (عبيدي، 2016، ص ص 290-293)

1.6. الحجج في خطاب الوسيلة الإعلامية:

الملاحظ في خطاب الوسيلة الإعلامية هو استعمال الصحفية لجميع أنواع الحجج السابقة في محاولة منها للبرهنة على أقوالها نذكر منها:

1.1.6. حجاج السلطة في خطاب الوسيلة الإعلامية:

يرتكز الرأي في حجة السلطة على سلطة معترف بها من قبل المتلقي ويلتجئ المتكلم إلى سلطة خارجية معروفة أو إلى سلطته هو، كما أن لوسائل الإعلام سلطتها الخاصة المبنية على جمع ونشر الأخبار ولكنها في حاجة لثقة المتلقي لأنها متى فقدت هذه الثقة فقدت سلطتها. (عبيدي، 2016، ص 93)

أ- سلطة المصدر الموثوق: أو السلطة العلمية أو الأدبية: استعانت الصحفية بأقوال واستشهاد لإقناع المشاهد ومنها:

- يتسلقون الجبال بحبالهم الصوتية كما وصفتهم أحلام مستغانمي.
- وصفها ابن خلدون في كتابه العبر (الكاهنة) بأنها فارسة الأمازيغ التي لم يأت بمثلا زمان.

- أستاذ خالد العيود : ممكن أن تشرح لنا ما هذه البناية.
ففي نسبة الوصف أو الحديث لشخصية أدبية مثل أحلام مستغانمي أو مؤرخ كابن خلدون أو لأستاذ التاريخ المغربي خالد العيود يمثل حججا ذات سلطة مقنعة واللجوء إليها أثناء المحاججة لا يدع مجالاً لرفض هذا الرأي.

ب- سلطة الشهادة الحية (الحضور الشخصي في موقع الحدث): استخدمت الصحفية عبارات دالة على حضورها الشخصي ومنها:

- هنا وقفنا على مخازن جماعية.

- شددنا الرحال على مدينة أقادير.
 - في رحلتنا جنوب المغرب.
 - قطعنا أكثر من 900 كلم.
- وفي هذه العبارات تقيم الصحفية الحجة على حضورها الشخصي لإثبات صدق المعلومات التي تنقلها للمشاهد من خلال سلطة شاهد عيان.
- ج- سلطة القانون (الوثيقة القانونية): تعتبر القوانين والمراجع القانونية والوثائق حججا ذات سلطة فاللجوء لها أثناء المحاججة لا يدع مجالاً لرفض الرأي المقدم.
- هذا القانون يعاقب الرجل الذي يعنف زوجته بدفع غرامة مالية.
 - أصدرت فرنسا مرسوما يسمي بالظهير البربري.
- د- سلطة الدليل: فقد أرفقت الصحفية تعليقها عن الأحداث بفيديوهات وصور تقيم الحجة على كلامها فمثلا :
- قناة ناطقة باللسان الأمازيغي في بلدان شمال إفريقيا (فيديو من داخل مبنى القناة) .
 - لم يخل التعايش العربي الأمازيغي من صدام في شمال إفريقيا (فيديو وثائقي لمظاهرات 1980 بالجزائر).
 - تمت عمليات اغتيال من أبرزها اغتيال المغني الأمازيغي معطوب الوناس (فيديو وثائقي لتشجيع جثمان المغني) .
- 2.1.6. حجاج المجموعة في خطاب الوسيلة الإعلامية:**
- يرى بروتون أن الحجة ترتكز على ما يمكن اعتباره قريبا من الحكمة أو المثل أو المعارف المشتركة التي تخزنها الذاكرة الجمعية.

تمثيلات الهوية الثقافية الأمازيغية في الأفلام الوثائقية التلفزيونية

إن اللجوء لهذه الحجج يحرك تأثير المجموعة في المتلقي الذي يتقاسمه مع المتكلم والذي يستمد مشروعيتها من قبول المجموعة عددا من القيم واللجوء إليها يعني زيادة ترسيخ هذه القيم وإعطائها مشروعية جديدة للبقاء. (عبيدي، 2016، ص 297)

وقد استخدمت الصحفية العديد من هذه الحجج نذكر منها:

- تعني كلمة أمازيغ الرجل الحر بلغتهم تحمل قيمة الحرية التي يقدسها الأمازيغ.
- حضارة كان قوامها العرف: تدل على قيمة الجماعة المرجعية في المجتمع الأمازيغي.
- اختلطت الحقيقة بالأسطورة في الحديث عن شجاعتهما: (الكاهنة) تحمل قيمة الشجاعة وكذا مكانة المرأة الأمازيغية التي كانت ملكة ومحاربة.
- يفضح خلالها أمر كل من ارتكب خطأ : تحمل قيمة التزام الصواب ومحاولة عدم ارتكاب أي خطأ في المجتمع الأمازيغي خوفا من الفضيحة.
- امرأة استهانت بالطبيعة فانتقمت منها: تحمل قيمة تقديس الطبيعة حيث كان الأمازيغ القدامى يقدسون القمر والشمس والفصول الأربعة وغيرها، ومن أمثلة ذلك أيضا يفضلون صناعة حلهم من الفضة وليس من الذهب لارتباطها بالقمر حسب الروايات.
- استبعاد الشريعة الإسلامية كأساس للتقاضي يشكل شهادة ميلاد للحركة الوطنية: تبرز هنا قيمة تمسك الأمازيغ بالدين الإسلامي على حساب أعرافهم ومعتقداتهم.

3.1.6. حجاج التأطير في خطاب الوسيلة الإعلامية:

يرتكز هذا النوع من الحجج على تأطير جوانب من الحدث وإبرازها وإهمال جوانب أخرى عمدا حيث تسعى حجج التأطير إلى التأثير والإقناع من خلال طريقة التعريف بالأحداث وقد استعملت الصحفية هذا النوع في عدة مواضع نذكر منها:

- قدمت الصحفية الفيلم الوثائقي بعنوان (الأمازيغ حكاية تعايش) في الجزء الأول (والأمازيغ حكاية تعايش وأكثر) في الجزء الثاني وهي بذلك قصدت جلب الاهتمام لتقديم تعريفها لهذه العلاقة في إطار التعايش رغم أن مضمون الفيلم الوثائقي هو الصدام العربي الأمازيغي.
- رغم إقبالهم على اللغة العربية لغة القرآن الكريم إلا أنهم احتفظوا بلغتهم الأصلية: فقد قرنت إقبال الأمازيغ على اللغة العربية بشرط وهو أن هذه هي لغة القرآن الكريم ولولا ذلك لما قبلوا عليها.
- ينفون أي صراع بينهم وبين العرب الذين قدموا للاستقرار في هذا الحي حديثا: فمفردة حديثا تحيل إلى أن الأمازيغ أقدم تواجدا من العرب في شمال إفريقيا.
- فيما كانت الجزائر تعيش ما يعرف بالربيع الأسود أعلنت المغرب عن إنشاء المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية: تحيل إلى أن الربيع الأمازيغي الحقيقي كان في المغرب.
- ألغيت دروس الأمازيغية وتم تعويضها بالدراسات الإسلامية: فقد تم تقديمها على شكل مواجهة بين الأمازيغية والإسلام في الجزائر فكأن بديل الأمازيغية في الجزائر هو الإسلام وليسود الإسلام لأبد من إلغاء الأمازيغية والعكس فهذه العبارة تتجاوز معنى الصدام إلى الإلغاء التام.

4.1.6. حجج القياس في خطاب الوسيلة الإعلامية:

- تتمثل حجج القياس أساسا في إنشاء علاقة بين مجالين من الواقع ليس بينهما علاقة مباشرة وبالتالي نقل مميزات إحدهما إلى الأخرى عن طريق القياس.
- إن حجج القياس تتطلب موافقة المتلقي على القضية التي يقع عليها القياس وهنا يمكن الحديث عن معارف مشتركة بين المتكلم والمتلقي.
- أنشأت الصحفية عدة مقارنات للدلالة على ذلك نذكر منها:

تمثيلات الهوية الثقافية الأمازيغية في الأفلام الوثائقية التلفزيونية

- سبق القانون الوضعي الأمازيغي غيره من القوانين الوضعية: أي عند مقارنته بغيره من القوانين فإنه كان سابقا إلى إرساء الحقوق والتشريعات ومنها حقوق المرأة والحيوان وهذا دليل على أن المجتمع الأمازيغي كان مجتمعا منظما وفيه سلطة جمعية لتنفيذ هذه القوانين العرفية.
- تميز الأمازيغ بلمسة خاصة في الحلي والملابس والألوان: أي أنه من السهل تمييز الحلي والملابس الأمازيغية لكثرة ألوانها مقارنة بغيرها من الألبسة والحلي.
- تعطي انطبعا للزائر أنه يتجول بقرى الأمازيغ: أي أن قرية تقصرين تشبه قرى تيزي وزو وبجاية من الناحية العمرانية وهي تحيل إلى أن الأمازيغ لم يتخلوا عن ثقافتهم حتى بعد تنقلهم إلى المدن.
- تعلم الأمازيغية كان حلما لأبنائهم وكابوسا لمن يعارضون: فعقدت الصحفية مقارنة بين شعور أبناء المواطنين الأمازيغ وشعور المعارضين من التيار القومي العربي الراضين لتعليم اللغة الأمازيغية.
- إنشاء محاكم على أساس الأعراف والتقاليد الأمازيغية باعتبارها سبقت وصول الإسلام: وهنا عقدت مقارنة أخرى تحيل إلى قدم الأعراف الأمازيغية مقارنة بتعاليم الدين الإسلامي كما تحيل على استمرار هذه الأعراف إلى وقتنا الحالي رغم تعارض بعضها مع تعاليم الدين الإسلامي.
- كلاهما خان القضية الأمازيغية وتخاذل عن أهدافها: مقارنة بين المحافظة السامية للغة الأمازيغية بالجزائر والمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالمغرب فكلاهما لم يحقق المطلوب منه لتطوير اللغة والثقافة الأمازيغية.

2.6. الحجاج في خطاب المجال العام:

استخدم المستجوبون من المجال العام الحجاج في عدة عبارات نذكر منها:

1.2.6. حجاج السلطة في خطاب المجال العام:

ترتكز حجة السلطة على القدرة المعرفية والعامّة ومثال ذلك لا يمكن رفض رأي أستاذ أدب في رواية معينة أو رأي مختص في الطب في انتشار مرض ما لكن لو أعطى الطبيب رأيه في الرواية لأمكن عدم الاقتناع، سلطة الحجة في هذه الحالة سلطة معرفية. (عبدي، 2016، ص 294)

ففي المقابلة مع أستاذ التاريخ المغربي خالد العيود الذي يتحدث عن بناية أغادير حيث يقول (أعتبرها بمثابة أول نظام بنكي ربما عرفته البشرية) يستمد أستاذ التاريخ سلطته من كونه متخصصاً في تاريخ الأمازيغ في شمال إفريقيا وبالتالي يطلق حكماً بأن أغادير أو المخزن الجماعي هو أول نظام بنكي عرفه التاريخ.

2.2.6. حجاج المجموعة في خطاب المجال العام:

يرى جون بول روسو بيز أن القيم صور محبذة وأن التواصل لا يمكن أن يتم داخل مجموعة بشرية إلا من خلال هذه القيم لأن الرابط الاجتماعي لا يتكون إلا بإحياء القيم الضمنية.

ومن القيم التي أشار إليها المستوجبون:

- قيمة الانصياع لسلطة الجماعة أو الحكماء بدل حكم الشخص أو الفرد في المجتمع الأمازيغي

- قيمة مكانة ودور المرأة في المجتمع الأمازيغي فهي منتجة اقتصادياً وناقلة وحافظة للموروث الثقافي الأمازيغي سواء من خلال جسدها حيث استمرت الرموز الأمازيغية من خلال الوشم أو عن طريق الحرف التي تمارسها وتزينها بتلك الرموز كنسج الزرابي وصناعة الفخار، أو من خلال القصيدة أو القصة الشعبية.

- قيمة تحري الصواب في المجتمع الأمازيغي فالخطأ يعادل فضيحة حيث أن كان كل من ارتكب خطأ يفضح في احتفالات موسم الحصاد "إمعشار" في إقليم تيزنيت بالمغرب و "إيراد" في تلمسان و "الشايب عشورة" في تكوت ولاية باتنة.

3.2.6. حجاج التأيير في خطاب المجال العام:

تمثيلات الهوية الثقافية الأمازيغية في الأفلام الوثائقية التلفزيونية

قدم المهتمون بالمرورث الشفوي الأمازيغي على أنه في وضعية الاندثار التدريجي وهذا ما يظهر في العبارات التالية:

- خوف كبير ينتابنا من ضياع مجموعة كبيرة من الوثائق الشفهية
- جانب كبير من هذا التراث في وضعية الاندثار.

تحيل هذه العبارات إلى ضرورة توثيق المرورث الشفوي الأمازيغي قبل ضياعه واندثاره بسبب عزوف الشباب عنه وكبر سن الشيوخ الذين يحفظونه.

4.2.6. حجاج القياس في خطاب المجال العام:

استخدم المحاورون من المجال العام العديد من الطرق لإثبات الحجة على أقوالهم ومنها عقد مقارنات أو تقديم أمثلة أو طرح الأسئلة التقريرية أو التشبيهات وهذا ما يتبين لنا في عدة مواضع منها:

- المكون الأمازيغي يعبر عن نفسه عندنا في الجزائر في الأعياد مثلا نحن نحتفل بالسنة الفلاحية، نحتفل أيضا باستقبال الصيف وباستقبال الخريف: فهنا قدم الباحث الجزائري محند أرزقي أمثلة أخرى لإثبات رأيه في أن السنة الأمازيغية هي سنة فلاحية حيث أن الأمازيغ يحتفلون بكافة فصول السنة.

المستحوبين ومنها:

1.3.6. حجاج السلطة في خطاب المجال الخاص- عدد الدول التي تعترف دستوريا بالتنوع الثقافي واللغوي وترسيم أكثر من لغة: وهنا استخدم الباحث المغربي ورئيس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية المقارنة وأصدر حكما عن كون المغرب الأول مغاربيا في الاعتراف بالأمازيغية في إشارة أن الجزائر تأخرت عن الاعتراف بالمكون الأمازيغي وأنها بلد قمع للحريات والحقوق في حين أن المغرب تشكل مثالا عن التسامح بين اللغات والثقافات والأديان.

3.6. الحجاج في خطاب المجال الخاص:

استخدمت مختلف أنواع الحجاج من طرف المواطنين :

يملك المواطنون سلطة معنوية مستمدة من واقعهم فهم اعرف به من أي أحد آخر ولذلك فإن الشهادة الحية لأي شخص تمثل سلطة الإمام بمختلف جوانب حياته أو الموقف الذي يتخذه إزاء أحداث معينة.

ففي حوار مع رئيسة جمعية تاوركا المغربية وبحكم أنها ابنة المنطقة ورئيسة لتلك الجمعية وتعلم أوضاع النساء العاملات في مجال عصرزيت الأركان يخولها سلطة الإقناع لأن المعلومة تمس واقعا تعيشه حيث تقول "المرأة القروية صارت تتحمل المسؤولية، أصبح لها استقلال مالي هناك أرامل يعلن أنفسهن وهناك نساء يعملن بدل الزوج المريض. .

2.3.6. حجاج الجماعة في خطاب المجال الخاص:

تحمل تصريحات المواطنين الأمازيغ المستجوبين عدة قيم أخلاقية ومنها التكافل الأسري في عبارة هناك نساء يعملن بدل الزوج المريض. قيمة التسامح والتعايش بين مكونات الشعب الجزائري في تصريح الشيخ العربي "عندما تتكلم معه بالعربية يجيبك بالعربية وعندما تتحدث معه بالأمازيغية يجيبك بالأمازيغية وعندما تتحدث معه بالفرنسية يجيبك بالفرنسية".

3.3.6. حجاج القياس في خطاب المجال الخاص :

تبرز حجج القياس من خلال عقد بعض المقارنات في عدة مواضع منها تصريحات الشيخ العربي عندما يقول لا يوجد فرق مثل إخوتي وتصريحات الشيخ القبائلي العادات مثل منطقة القبائل فعبارة "لا يوجد فرق" وعبارة "مثل إخوتي" تدل على مدى اللحمة والتعايش رغم اختلاف الألسنة وهذا يدل على تمسك سكان شمال إفريقيا بالدين الإسلامي في إشارة إلى الآية الكريمة من سورة الحجرات " إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون" الآية 10. وفي الحديث النبوي الشريف "المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه". وهنا استشهاد على مدى الترابط والتآزر .

7. خاتمة

قدم الفيلم الوثائقي الامازيغ حكاية تعايش الهوية الثقافية الأمازيغية على انها هوية تعرضت للإقصاء والتمهيش والتعتيم الإعلامي وعدم إيلاء الاهتمام اللازم والكافي للبهوض بها وترقيتها رغم الإعتراف بها دستوريا في الجزائر والمغرب. كما قدم الفيلم صورة قاتمة عن النظامين الجزائري والليبي في مواجهة مطالب الحركات الأمازيغية ووصفتها بالمواجهة الدامية والعنيفة التي نتج عنها قتلى وجرحى وكذا قصف نظام معمر القذافي للأمازيغ بالطائرات في القلعة ومحاولة إبادتهم ما نتج عنه نزوح أمازيغ جبال نفوسة في ليبيا إلى تونس وأظهرت أن النظامين حاولا إلغاء الهوية الثقافية الأمازيغية وطمسها من خلال منع الحديث باللغة الأمازيغية وتسمية الموالييد بأسماء أمازيغية في ليبيا وكذا إلغاء دروس أمازيغية في الجامعات الجزائرية وتعويضها بالدروس الإسلامية.

في حين قام الفيلم الوثائقي بتلميع صورة النظام المغربي وظهره نظاما ديمقراطيا. متحكما في الملف الأمازيغي من خلال الإعتراف الدستوري بالتنوع الثقافي واللغوي للمغرب وترسيم اللغة الأمازيغية وإدراجها في التعليم والإعلام، كما سمح للمنظمات غير الحكومية بالنشاط على أراضيه واهمها التجمع العالمي الأمازيغي .

8. قائمة المراجع:

1. باومن زيجمونت (2018)، *الثقافة السائلة*، (ط1)، ترجمة حجاج أبو جبر، لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
2. بن مرسلّي أحمد (2005)، *مناهج البحث العلمي في علوم الاعلام والاتصال*، (ط1)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
3. بولعوالي التيجاني (2014)، *راهن الأمازيغية*، (ط1)، المغرب، إفريقيا الشرق.
- جاي ناصر (2018)، *الحركات الأمازيغية في شمال إفريقيا*، (ط1)، الجزائر، منشورات الشهاب.
4. حجازي سحر (2016)، *علم نفس بينية ثقافية وثقافة الاختلاف*، (ط1)، لبنان، دار النهضة العربية.
5. زرواتي رشيد (2007)، *مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية*، (ط1)، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
6. عبيدي منية (2016)، *التحليل النقدي للخطاب*، (ط1)، الأردن، كنوز المعرفة.
7. عيسى نهلة (2020)، *الأفلام الوثائقية*، (ط1)، سوريا، الجامعة الافتراضية السورية.
8. غابريال كامب (2014)، *البربر ذاكرة وهوية*، (ط1) المغرب، إفريقيا الشرق.
9. نصار عبد الحليم (2007)، *إعداد البرامج الوثائقية*، (ط1)، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع.
10. هسوف عبد اللطيف (2016)، *الأمازيغ قصة شعب*، (ط1)، لبنان، دار الساقى.

المراجع باللغة الأجنبية:

11. Kaes R (1968) , *Image de la culture chez les ouvriers*, paris.
12. Durkeim .E (1967), *Représentation individuel et représentation collectives* , France, édition sociologie et philosophie..

13. Moscovici. S (1976) , *La psychanalyse, son image et son publique*, France, presse universitaire de France.